مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الاول ـ المجلد التاسع والثلاثون

بغداد

شعبان ١٤٠٨هـ ـ آذار ١٩٨٨م

علاقة مختصر العين لأبي بكر الزبيدي بكتاب العين

الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي
كلية التربية ـ جامعة بغداد

لعل البحث في مشكلات كتاب العين من أعسر بحوث تاريخ المعجم العربي فهي كثيرة معقدة متداخلة ؛ أشرت الى بعضهـــا في بحث سابق نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي (*) .

ولايداخلني شك في أن أغلب النتائج التي توصل اليها الباحثون قديماً وحديثاً بشأن مادة الكتاب ، ومؤلفه ، وزمن تأليفه ، ونسخه ، هي نتائج قابلة للنقاش ، إذ إن أي باحث في هذا الموضـوع لايمتلك أدلة دامغة تؤيد نتائجه تأييداً قاطعاً .

ولعلنا لا نطمح في الوقت الحاضر الى معرفة الحقيقة كاملة ، اذ إنه أمر مستحيل بسبب غيابها في غياهب الزمن الممتد اكثر من الف عام .

وكنت آمل أن أتبيّن وجهاً من وجوهها في أثنـــاء عملي بتحقيق كتاب « مختصر العين » لأبي بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) فهو علم الأندلس في القرن الرابع ، اتسم بخلق علمي ، وتواضع للعلماء تجاوز المألوف ، لم يذكره أحد ممن ترجم له بأية شائبة ، كما لم يطعن بعلمه وحافظته أحد من أقرانه ، أو ممن جاء بعده ، وهو لغوي الأندلس ونحويها في عصره (١) ، وهو وارث

(*) الجزء الأول المجلد الثامن والثلاثون .

(١) ينظر في ترجمة الزبيدي : أبو بكر الزبيدي الاندلسي واثاره في النحو واللغة ٥٦ ـ ١٠٦ .

علم شيخه القالي وراوي أغلب مروياته وكتبه التي نقلها من المشرق . وبسبب اهتمام الزبيدي بكتاب العين ، وبعد تأليفه كتاب (مختصر العين) نال شهرة واسعة في المشرق والمغرب والاندلس .

وقد أثار الزبيدي زوبعة في الوسط اللغوي بشأن مؤلف كتاب العين ومادته اللغوية مازالت حتى الأن تثير نقاشاً وجدلا بين الباحثين ، ورجل مثل الزبيدي اتسمت بحوثه بالدقة والموضوعية لابد أن يكون قد أثار تلك الزوبعة بعد دراسة وروية ، ولابد أن يكون قد أثارها بعد أن راجع نفسه أكثر من مرة ، وقد ذكر حججه في مقدمة كتابيه (مختصر العين) و (استدراك الغلط الواقع في كتاب العين) . وقد أجملها زميلنا الدكتور نعمه رحيم العزاوي في أربع نقاط تعود الى اختلاف نسخ الكتاب ، وتأخر ظهوره ، ووقوع معاني النحو فيه على مذهب الكوفيين . وعدم تثقيفه الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل . والثاني المضاعف من المعتل ، والثلاثي المعتل بعلتين ، إذ أدخل كل ذلك في باب سماه اللفيف . كما أنه خلط الرباعي والخماسي من أولهما الى آخرهما (٣) .

ثم ناقش الدكتور نعمة حجج الزبيدي معتمداً في ما استنتجه على ما ذهب اليه الدكتور حسين نصار ، والدكتور مهدي المخزومي، والدكتور عبدالله درويش . وغيرهم . وعلى ملاحظاته الخاصة من خلال دراسته للزبيدي(٤) ، وخص كتاب (مختصر العين) بفصل كامل من فصول كتابه الاربعة ، ذكر فيه بعض نسخه ودواعي تأليفه . وبسبب الرابطة التي تربط المختصر بكتاب العين تحدث عن أهمية كتاب العين ، وما ألف حوله ، والطريقة التي سار عليها الخليل في العين ، ثم عاد فتحدث عن منهج الزبيدي في الاختصار ،

(٢) ابو على القالي واثره في الدراسات اللغوية والادبية بالأندلس ٣٦٢ .
(٣) مختصر العين ١ ، استدراك الغلط الواقع في كتاب العين المقدمة ١٣٩ ـ ١٤٦ . ابو بكر الزبيدى الاندلسى واثاره فى النحو واللغة ١١٥ ـ ١١٧ .
(٤) ابو بكر الزبيدي الأندلسي واثاره في النحو واللغة ١١٧ ـ ١٢٩

ورأى أن الزبيدي صنع في كتاب العين أربعة أمور ليخرج مختصره هي : تنظيمه ، وتصحيح المختل والمصحف من مواده ، واختصاره ، والاستدراك عليه . ودعم رؤيته بأمثلة من مختصر الزبيدي (٥) .

وقد استوقفني الأمر الرابع الذي بحث عنه الكاتب بايجاز ، وهو الاستدراك الذي صنعه الزبيدي في مختصره ، اذ إنه لم يقدم دليلا واحداً يستطيع ان يثبت فيه أن هذه المادة أو تلك مستدركة على كتاب العين . قال : « وألف الزبيدي كتاباً حول زيادات القالي على (العين) اسماه (المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي ، فالزبيدي إذن عالم بفوائت (العين) ومحيط بما لم يرد فيه من المفردات ، وقد استدرك في (مختصره) الشيء الكثير من الفوائت إلا أنه – كما قال في خاتمة الكتاب – لم يستقص جميع ما أهمله العين لأنه اكتفى بكتابه الذي خصصه لهذا الموضوع ، ولأنه أراد أن يكون (المختصر) صورة موجزة لما في (الأصل) من مواد بعد تجريدها من الخطأ ، وازالة ما لحقها من التصحيف » (٦) .

ويستفاد من النص الذي ذكرته ان الباحث اعتمد على أمرين للتدليل على أن المواد التي وردت في (المختصر) ولم ترد في (العين) هي مستدركة عليه .

الاول : معرفة الزبيدي بفوائت العين بدليل تأليفه (المستدرك) .

الثاني : ما ذكره الزبيدي في خاتمة كتابه المختصر .

إن هذا الأمر جدير بالعناية والتدقيق ، لكي نواصل البحث في دراسة الحلقات المفقودة في كتاب العين على أسس سليمة .

بين يدي خمس نسخ من أدق نسخ كتاب مختصر العين وأهمها ، وفي مقدمة هذه النسخ ، نسخة خزانة القرويين بفاس رقمها (١٢٣٨)(٧) وقد جاء في

(٥) المصدر السابق ٤٣٦ – ٤٨٢ .
(٦) المصدر السابق ٤٨١ .
(٧) ينظر في وصفها مختصر العين (المطبوع) : س – ع وسأفرد بحثاً بوصف نسخ مختصر العين التي تيسر لي الاطلاع عليها .

خاتمتها ص ٣٣١ (حرف الياء .... ومما ضوعف من فائه ولامه ، الياء : حرف هجاء ، وهي من تأليف ياء وواو وياء ، وتحقيرها يـوية ، والواو من تأليف واو وياء وواو ، وتحقيرها ويية ، ويقال : واو موأوأة ، همزوا تمّ مختصر العين ... » .

وجاء في ص ٣٣٢ منها « وقع في آخر نسخة الحكم المستنصر بالله رضي الله عنه . قال محمد : وأنا اذكر الآن جمل الأعداد الواقعة في ابواب الكتاب لأدل على المجتمع منها ، وأنص ما للمستعمل والمهمل والصحيح والمعتل من الثنائي واللاثي والرباعي والخماسي على حسب ما أورده صاحب الكتاب ان شاء الله . عدة مستعمل الكلام ... » .

وعلى اساس هذه الخاتمة التي أشار اليها نعمة لا نستطيع أن نستنتج أن زيادات (المختصر) استدراك من صاحبه على كتاب العين ، فخاتمة الكتاب ليس فيها أية اشارة الى زيادة أو استدراك . وما وقع في آخر نسخة الحكم من كتاب مختصر العين احصاء لما ورد في كتاب العين (على حسب ما اورده صاحب الكتاب) . وعلى هذا لابد لمن يبحث في هذا الباب أن يجد أدلة أخرى غير هذا الدليل .

وان من يقرأ مقدمة كتاب مختصر العين يستنتج أن مادة المختصر لابد أن تكون موجودة في كتاب العين إذ إن الحكم المستنصر بالله الذي أمر الزبيدي بالاختصار ألزمه بأن تؤخذ عيون الكتاب « ويلخص لفظه ويحذف حشوه » (٨) وقد ألزم الزبيدي نفسه في مقدمته بأمر الخليفة فقال : « فبدأنا في ذلك – بعون الله وتأييده – على الشريطة المذكورة » (٩) .

---

(٨) مختصر العين ١ .

(٩) المصـــدر الســـابق .

ثم أن الباحث المتعجل قد يرى في تأليف الزبيدي كتاب (المستدرك) دليلا آخر على أن مادة المختصر مأخوذة كلها من كتاب العين ، ولاسيما أن المؤلف أفرد المستدرك بكتاب مستقل ، أما (المختصر) فهو تهذيب وتنقيح وتصحيح واختصار لمادة (كتاب العين) .

وبسبب موقف الزبيدي من (كتاب العين) قد يستنتج الدارس أن الزبيدي لا يختصر كتاب العين الذي ألفه الخليل ، انما يختصر كتاب العين المنسوب للخليل المشكوك في نسبة أغلب مادته ، إذ إن الكتاب كما يرى الزبيدي « لا يصح له ولا يثبت عنه ... وأكبر الظن فيه ان الخليل سبَّب أصله ، ورام تثقيف كلام العرب به ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه . » (١٠)

وهو أمر قد يوقع الدارس بالحيرة ، ذلك أنه يعثر في (المختصر) على مادة لغوية كثيرة جداً لا وجود لها في مطبوع العين ، وقد ينساق الى استنتاج أمور أخرى في مقدمتها أن مطبوع العين لا يمثل الأصل تمثيلا دقيقا ولاسيما حينما يعثر على نصوص اخرى تنسب في كتب أخرى لكتاب العين وليست فيه (١١) ، وقد يساعده على الانسياق وراء هذا الاستنتاج إن أقدم نسخة حقق عليها كتاب العين يعود تاريخها الى سنة (١٠٥٤ هـ) (١٢) في حين أن مختصر العين الف في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع (٣٦٢ هـ)(١٣) وقد اطلع صاحبه على نسخ من كتاب العين يعود تاريخها الى أواخر القرن الثالث) (١٤) . ومن المناسب ان أذكر بعض الأمثلة من المختصر مما جاء في حرف العين باب الثنائي الصحيح ولم ترد في كتاب العين .

(١٠) المصدر السابق .
(١١) أشرت الى بعضها فى بحث سابق نشر فى مجلة المجمع بعنوان (محاولة جديدة فى دراسة كتاب العين) .
(١٢) العين ١/٣٣ .
(١٣) مختصر العين ص ٣٣٣ .
(١٤) استدراك الغلط الواقع في كتاب العين ١٤٢ ـ ٢٤٣ .

١ ــ جاء في المختصر : (وقد أكَعَّهُ الخوفُ وكَعْكَعَهُ الخوف ، إذا حبَسَه ، وكَعَّ يكُعُّ كُعُوعاً) .

قوله : (يكع كعوعاً) ليس في العين، وعن ابن الأعرابي في التهذيب .

٢ ــ جاء في المختصر : (ويقال : صَعْصَعَهُ : إذا حرَّكَهُ .

والقول ليس في العين ، وعن الأصمعي في التهذيب .

٣ ــ جاء في المختصر : (السَّعْسَعَةُ : زَجْرُ المِعْزَى ، إذا قلتَ سَعْ سَعْ).

والمادة ليست في العين ، وانظر الجمهرة ، وجاء في التهذيب عن الفراء . (سعسعت بالعناق ، إذا زجرتها فقلت لها : سع سع) .

٤ ــ جاء في المختصر : (العُطْعُط : الجَدْي) .

والمعنى ليس في العين ، وعن ابن السكيت في التهذيب .

٥ ــ جاء في المختصر : (وكل شيء بَاءَ بشيء فهو له عَرارٌ) .

والمعنى ليس في العين . وعن أبي عبيدة في التهذيب .

٦ ــ جاء في المختصر : (العُرْعُرَةُ : غِلَظُ الجبل) .

والمعنى ليس في العين . وعن الأصمعي في التهذيب .

٧ ــ جاء في المختصر : (عَرْعَار : لعبة لصبيان الأعراب) .

والمعنى ليس في العين وعن أبي عبيد في التهذيب .

٨ ــ جاء في المختصر : (يقال : شاب رُعْرُع ورَعْرَعٌ)

ورعرع بالضم ليست في العين . وعن كراع في المحكم .

٩ ــ جاء في المختصر : (واليَعْلول : الغدير) .

وليس في العين . وفي التهذيب عن الأصمعي (اليعلول: غدير أبيضُ مُطَّرد) .

١٠ ــ جاء في المختصر(اليعاليل: حباب المطر . واليعاليل من السحاب: قطع بيض. واحدها : يعلول .

وليس في العين ، وفي التهذيب (عن أبي عبيدة ... واليعاليل أيضاً : حباب الماء . . . وقال الأصمعي . . . وهو السحاب المطّرد أيضاً) .

١١ – جاء في المختصر : (وقد لعلعت عظمه ، أي : كسرته) .
وليس في العين ، وعن أبي زيد في التهذيب .

١٢ – جاء في المختصر : وأَعْنَنْت اللجام : جعلت له عِناناً)
وليس في العين ، وعن الكسائي في التهذيب .

١٣ – جاء في المختصر : (وشركةُ عِنَانٍ : شركة في شيءٍ خاص كأنه عُنٌ) .
وليس في العين ، وعن الفراء في التهذيب .

١٤ – جاء في المختصر : (عن، وهي تكون اسماً وحرفاً، ومعناها ماعدا الشيء)
وليس في العين ، وعن النحويين في التهذيب .

١٥ – جاء في المختصر : (النُّعْنُعُ من الرجال : الطويل) .
وليس في العين ، وعن الأصمعي في التهذيب .

١٦ – جاء في لمختصر : (والنُّعاعَة : بقلة) .
وليس في العين ، وفي النبات والشجر للأصمعي (هو بقل ناعم في أول ما يبدو رقيق) وفي التهذيب عن شمر : (لم أسمع نعاعة الا للأصمعي)

١٧ – جاء في المختصر : (العَبْعَابُ : الطويل من الناس)
وليس في العين ، وعن أبي عبيد في التهذيب

١٨ – جاء في المختصر : (وألقى عليك بَعاعَهُ ، أي : ثقله) .
وليس في العين ، وعن أبي عبيد في التهذيب .

١٩ – جاء في المختصر . (وامرأة مَعْمَعَة : ذكية متوقدة) .

وليس في العين . وفي التهذيب عن شمر : (امرأة مَعْمَعُ ، وهي الذكية المتوقدة)، والامثلة من هذا النوع كثيرة جداً ، وقد تسوق الى استنتاج

آخر هو أن الزبيدي كان محقاً في ما ذهب اليه ، إذ اناك تلاحظ من الأمثلة السابقة ان النصوص تنسب الى لغويين مختلفين ، بصريين وكوفيين ، وعلى هذا يكون الزبيدي محقاً في موقفه من نسخ العين التي اطلع عليها واعتمد عليها في الاختصار، ولولا وجود بعض المصادر التي ساعدت على كشف الحقيقة لاضطررنا الى الاتسياق وراء تلك الاستنتاجات على ما سيتبين لنا .

أ – إن الأمثلة السابقة التي ذكرتها وغيرها كثيرة لم تنسب الى الخليل أو الى كتاب العين في المعاجم التي اهتمت بنسبة أقوال اللغويين الى أصحابها .

ب – هناك مواد لغوية كثيرة في المختصر وردت مهملة في مطبوع العين وقد أشير الى إهمالها في كتاب العين في كتابي التهذيب والمحيط أذكر أمثلة منها.

١ – جاء في المختصر : (تقول : عَهْعَهْتُ بالابل : إذا زَجَرْتَها ، فقلت : عَهْ عَهْ لتحتبسَ) .

والمادة ليست في العين ، وجاء في التهذيب (أهمل الخيل العين مع الهاء في المضاعف، وقد قال الفراء في بعض كتبه : عهعهت بالضأن عهعهة : إذا قلت لها : عَه عَه ، وهو زجر لها . وقال غيره : هو زجر للابل لتحتبس) .

٢ – جاء في المختصر : (هِدَعْ : كلمة تُسَكَّنُ بها صغار الإبل عند النفار ، يقولون : هِدَعْ هِدَعْ) .

والمادة مهملة في العين ، وجاء في التهذيب (قال ابن شميل: هِدَع زجر للبَكر) . وجاء في المحيط (هدع : أهمله الخليل . . . وهدع هدع : زجر للبكر) .

٣ – جاء في المختصر : (الأزعكي : الرجل القصير اللئيم) .

والمادة مهملة في العين ، وجاء في المحيط (زعك : مهمل عند الخليل) وهي عن الخارزنجي فيه ، وعن أصحاب أبي عبيد في التهذيب .

٤ – جاء في المختصر : (الصَّعْوَن : الرقيق الرأس ، والأنثى صِعْوَنَة، وأُذنٌ مُصْعَنَّةٌ : دقيقة لطيفة) .

والمادة مهملة في العين ، ونص الأزهري على إهمالها عند الليث ، وفيه عن ابن الاعرابي (أصعن الرجل إذا صغر رأسه) وعن أبي عبيد : (الصَّعْوَنُ : الظليم الدقيق العنق الصغير الرأس ، والأنثى : صعونه) وفيه أيضاً يقال : (أُذُنٌ مُصَعَنَّة : مؤللة) وعن أبي عمرو (أصعن : إذا صغر عقله) .

٥ – جاء في المختصر : (الصَّعْف : شراب لأهل اليمن ، وهو أن يُشَرَّخ العنب ثُم يلقى في الأوعية) .

والمادة مهملة في العين ، ونص الأزهري على اهمالها عند الليث وفيه عن محمد بن كثير (ان لأهل اليمن شراباً يقال له : الصعْف . .)

وجاء في المحيط (صعف : أهمله الخليل ، وحكى الخارزنجي : الصعف شراب لأهل اليمن) .

٦ – جاء في المختصر : (الفعص : الانفراج) .

والمادة مهملة في العين ولم ترد في التهذيب والمحيط ، وهي في المحكم .

وجاء في المحيط (فعس) (أهمله الخليل ، وحكى الخارزنجي : الفاعوسة. الفرج ، لأنها تنفعس ، أي : تنفرج . . .)

٧ – جاء في المختصر (السعابيب : شبه الخيوط من العسل الخِطمي ، يقال : سال فمه سَعَابيب) .

والمادة مهملة في العين ، ونص الأزهري على أنها مما أهمله الليث ، وفيه عن أبي عمرو : (السعابيب التي تمتد شبه الخيوط من العسل والخِطمي ونحوه) . وجاء في المحيط (سعب : أهمله الخليل وحكى الخارزنجي : السعابيب : ما جرى من الماء وغيره لزجاً ممتداً ؛ حتى يسمى به الشراب واللعاب .

٨ – جاء في المختصر : (معس في الحرب : إذا حمل ، ومعست الأديم : إذا لينته في الدباغ) .
والمادة مهملة في العين ، ونص ، الأزهري على أنها مما أهمله الليث ، وجاء في المحيط (معس: أهمله الليث) وذكر الأزهري والصاحب المعنى الثاني لمعس ، الأول ذكره عن الأصمعي والثاني عن الخارزنجي ولم يذكرا المعنى الأول ، وهو في المحكم .

٩ – جاء في المختصر : (مِسْعٌ : من اسماء الشمال)
والمادة مهملة في العين ، ونص الأزهري على أنها مما أهماه الليث ، وفيه (قال الأصمعي : يقال للشمال : نسْع ومِسْع) وجاء في المحيط (مسْع : أهمله الخليل، وحكى الخارزنجي والمسع والنسع : اسمان لريح الشمال) .

١٠ – جاء في المختصر : (ماله ثعْد ولا معد ، أي : قليل ولا كثير) .
والمادة مهملة في العين، وجاء في المحيط (ثعد : حكى الخارزنجي الثعد من البُسْر : ما لان عند التلوين ، والواحد : ثعدة . والعشب الغض . والماء . ويقال : عيش ثعْد مَعْد ، أي مخصب) .

١١ – جاء في المختصر : (العَدَاب : مُسْتَرَقُّ الرَّمل) .
وهي مهملة في التهذيب . ونص على أنها مما أهمله الليث ، وهي فيه عن أبي عبيدة والأصمعي . وجاء في المحيط (عدب: أهمله الخليل وحكى الخارزنجي : العداب : مسترق الرمل . . .) .

١٢ – جاء في المختصر: (العَرَّات: الرمح الشديد الاضطراب . وقد عَرِتَ وعَرَتَ أنفَه : إذا عركه) .
والمادة مهملة في العين ، وفي التهذيب عن الأصمعي (ومن الرماح العَرَّات والعَرّاص . وهو الشديد الاضطراب ، وقد عَرِت يَعْرَتُ ...) وقال الأزهري (قد صح عَتَرَ وعَرَتَ ودل اختلاف بنائهما على أن كل منهما غير الآخر .

وجاء في المحيط (عرت : أهمله الخليل ، وحكى الخارزنجي : العَرَّات : الشديد الاضطراب ، وقد عَرَتَ وعَرِتَ بفتح الراء وكسرها) .

١٣ – جاء في المختصر : (أعْظَرَهُ الشراب اعظاراً : إذا كظّه وثقل في جوفه) وهي مهملة في العين ، وجاء في المحيط (عظر : أهمله الخليل ، وحكى الخارزنجي . . . وأعظره الشراب كظّه وثقّل جوفه) .

١٤ – جاء في المختصر : (أنْثع القيء من فيه ، وكذلك الدّم من الأنف انثاعاً: إذا اتبع بعضه بعضاً .

والمادة مهملة في العين وهي عن ابن الاعرابي في التهذيب .

١٥ – جاء في المختصر : (أصبنا مَرْنَعَة من طعام أو شراب، أي : قطعة ، وكذلك مرنعة من الصيد) .

وهي مهملة في العين، وجاء في المحيط (رنع : أهمله الخليل . وحكى الخارزنجي . . . والمرنعة : ماترنع فيه العين رنوعاً ، أي : تنتهي من خصب أو لهو أو شراب .... وأصبنا مرنعة: قطعة من الصيد) ، وغيرها كثير .

وهكذا يتبين لنا أن (مختصر العين) للزبيدي لم يكن اختصاراً بالمعنى الدقيق الذي توحيه مقدمته وخاتمته، إنما كان تأليفاً مستقلاً اعتمد على مادة في الأصل هي (كتاب العين) الذي اعتمد ت مادته كل المعجمات التي ألفت بعده ، وعلى هذا الاساس ، وبسبب عدم التزام الزبيدي بالمنهج الذي ذكره في مقدمة مختصره لانستطيع أن نضع تصوراً دقيقاً لكتاب العين من خلال مادة المختصر .